الأمير عثمان بن عبد المؤمن(حاكم غرناطة) دراسة في سيرته الذاتية وأثره العسكري والإداري في بلاد المغرب والأندلس

أ.م.د. علي عطية شرقي

جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد)

الملخص

يعد الأمير عثمان بن عبد المؤمن(٥٣٣ــ٥٧١/١١٣٨ــ١١٧٥) إحدى الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تثبيت الدولة الموحدية في بلاد المغرب والأندلس، فهو يأتي في المرتبة الثالثة بعد أخويه أبو يعقوب الخليفة وأبو حفص الوزير.

وقد بحثت الدراسات كثيراً في مسألة نشوء وتأسيس الدولة الموحدية ودور عبد المؤمن وبنيه، إلا أنها ركزت على الأخوين أبو يعقوب باعتباره الخليفة وأبو حفص الوزير، إما صاحبنا عثمان ابن عبد المؤمن الأخ الثالث لهم، فلم تسلط الضوء عليه كثيراً، ويمكن القول أنها قد تجاوزته، لهذا جاء بحثنا ليسلط الدراسة على جوانب مهمة من شخصية وأثره السياسي والإداري في مختلف الأدوار التي مرت بها الدولة الموحدية.

وفضلاً عن كونه قائداً عسكرياً واداريا ناجحاً، كان محباً للعلم والمعرفة، حيث قرب إليه خيرت علماء المغرب والأندلس، وسخر كل إمكانياتهم في خدمة الدولة والأمير.

وتعد مدة ولاية الأمير أبو سعيد لبلاد المغرب والأندلس من العهود الحافلة بالانجازات السياسية والحضارية والاقتصادية والعلمية، وهي امتداد طبيعي لتلك النهضة التي شهدها عهد أبيه عبد المؤمن بن علي وأولاده بعد ذلك.

Abstract

As a matter of fact, the Prince Othman bin Abdul-Mamin is considered as one of the characters that have played an important role in stabilizing Al-Mohadia State in Morocco and Andalusia. He actually, comes in third place after his brothers Caliph Abu Jacob and Abu Hafs, the Minister.

Many studies have looked at the issue of the emergence and establishment of Al-Mohadia State and the role of Abdul-Mamin and his sons. However, it focused on the two brothers Abu Jacob as the Caliph and Abu Hafs who is the

second man. Concerning, Osman Ibn Abdul-Mamin did not be highlighted too much. Because this the aim of our search is to highlight on the important aspects of the political personality and his political influence and administration of the state. In addition, of being a military commander and successful administrative, he was a knowledge-loving, where made his favorite scientists closer to get benefits in the service of the state.

It is important to mention that the reign of Amir Abu Said is one of the most important achievements in the political, cultural, economic and scientific aspects, which are a natural extension of that renaissance that witnessed by the reign of his father, Abd Al-Momin and his sons

المبحث الأول
السيرة الذاتية للأمير عثمان بن عبد المؤمن

أولا: اسمه وألقابه وكناه

هو عثمان بن عبد المؤمن وكنيته أبو سعيد ويلقب بالسيد، وهذا اللقب يطلق على بني عبد المؤمن دون سواهم، كم يذكر ابن الخطيب[١] قائلاً ((أما الأمير أبو محمد بن علي وأبناؤه كالسيد أبي سعيد عثمان بن الخليفة والسيد إسحاق بن الخليفة والسيد أبي إبراهيم والسيد أبي عبد الله ، الى ان انقرض أمرهم)).

ولعل لقب (السيد) كان قد عرف تاريخيا بالعوائل التي ترتبط بنسب الرسول الكريم (□) ولا نستطيع ان نجزم في الأسباب التي جعلت بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة[٢].

ويبدو ان هذا اللقب أطلق على جميع الأمراء الموحدين، إذ كانوا ينعتون أنفسهم بلقب السيادة، فيتقدم اسمهم دائماً لقب (السيد)[٣].

ومن ألقابه التي أطلقت عليه (حاكم غرناطة) أو(ملك غرناطة)[٤].

ثانياً: ولادته.

لقد أغفلت المصادر التاريخية المتوفرة حالياً تحديد تاريخ ولادة الأمير أبو سعيد عثمان، ألا ان ابن عذاري[٥] يذكر بان ابا سعيد كان عمره ست وثلاثون عاماً في عام (٥٦٩هـ ـــ١١٧٣م) وبذلك يمكننا ان نفترض ان الأمير عثمان بن عبد المؤمن ولد بحدود سنة(٥٣٣هـ ـــ١١٣٨م) بالاعتماد على هذه الرواية، وهي الاقرب للتواريخ التي ذكرت سابقا، ومثلما أغفلت المصادر تاريخ ولادته، لم تذكر لنا هذه المصادر معلومات عن مكان أو محل ولادته .

ثالثاً: نسبه.

اختلفت الروايات التاريخية في تحديد نسبه ، منها من ذهب الى القول انه عربي من بني قيس، ومنها من يقول: ان نسبه يرجع من قبيلة كومية[٦] الغربية ، وهذا الاختلاف في حقيقة الأمر يضع الباحث في حيرة من أمره اتجاه تحديد نسب عبد المؤمن بن علي والد الأمير عثمان، فالبيذق[٧] ينقل لنا وهو رفيق عبد المؤمن يذكر روايتيه الأولى ينسبه الى آل بيت رسول الله ((فهو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا بن الحسن بن كنونه بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن طريق الادارسة، والرواية الثانية أرجعت نسبه الى قيس بن عيلان)).

اما والدة عبد المؤمن فهي كما يشير البيذق[٨] وأسمها ((تعلو بنت عطية بن الخير ابن خليفة بن موسى بن علي بن حسن بن كنونه بنت إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام...).

وبذلك يكون عبد المؤمن حسب ما سجله البيذق، عربياً مضرياً عدناني الأب وألام.

وهذا ما ذهب إليه أيضا المراكشي[٩] أيضا، حيث أكد النسب العربي القيسي المضري لعبد المؤمن بن علي.

ونستطيع ان نقول ان نسب عبد المؤمن عربي، اما الروايات التاريخية التي تنفي نسبه العربي ، فنرى أنها روايات ضعيفة مرتبكة، فمرة تذهب الى ان نسبه عربي، وأخرى تنفي ذلك وهذا يدل على عدم الدقة والارتباك، ومن هذه الروايات، ما ذكره ابن أبي زرع التي ذكر بان عبد المؤمن بن علي عربي الأصل، ثم رجع وقال هو زناتي الأصل والله اعلم [١٠].

رابعاً: نشأته وملامح شخصيته.

نشأ أبو سعيد بن عبد المؤمن في بيئة علمية فهو كما عرفناه ابن عائلة معروفة بالرياسة والعلم، فقد أخذ علمه من تلك المدرسة التي بناها والده في مراكش[١١]، إذ انشأ عبد المؤمن مدرسة لتخريج رجال سياسية ومعرفة حقيقية تقود تلك الدولة، وقد ضمت هذه المدرسة زهاء ثلاث الآلف طالب من أبناء الأكابر، فكانوا يدرسون منهاجاً في إدارة الولايات ومزاولة شؤون الدولة ، فضلاً عن مناهج العلم الأخرى، كحفظ القران الكريم وتفسيره، وكان عبد المؤمن يشرف عليهم بنفسه ، حتى يجمعهم يوم الجمعة بعد الصلاة في قصره، ويمتحنهم فيما درسوا، ويوجه اليهم الأسئلة بنفسه، تشجيعاً منه على الاجتهاد والمثابرة، كي يجعل منهم رجالاً أكفاء قادرين على تحمل المسؤولية، وكان على رأس طلبة هذه المدرسة ثلاثة عشر من أبناء الخليفة نفسه[١٢].

وكان من الذين برعوا في الدرس أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بشكل ملفت ورائع، يقول ابن خلكان[١٣]((كان حافظاً مثقفاً...قرن به وبإخوته أكمل رجال الحرب والمعارف، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء)).

ومن ناحية أخرى يكشف لنا المراكشي[١٤] جانباً مهماً في شخصية ابو سعيد عثمان وبين مقدار ثقافته وحبه للأدب والشعر، وبراعته في قيادة الجيش فيقول: ((وكان من نبهاء أولاده(عبد المؤمن) ونجبائهم، وذوي الصرامة منهم، وكان محباً في الأدب، مؤثراً لأهلها، يهتز للشعر ويثبت عليه، أجتمع له وجوه الشعراء واعيان علمتها..))، وان كانت هذه الرواية تتحدث عن أبي سعيد أثناء ولايته على سبته[١٥] وطنجة[١٦]. لكن بكل تأكيد تعطينا تصوراً واضحاً عن ما تميز به هذا الأمير وتكشف مقدار حبه للأدب والمعرفة.

ومما ساعده في هذا المجال، إحاطته ببعض الكتاب المشهورين بالأدب والعلم أمثال احمد بن عبد الملك [١٧]، واحمد بن الحسن القضاعي[١٨]، ومحمد بن مسعدة[١٩]،وابن طفيل[٢٠]، وأبو بكر بن حبيش الباجي[٢١]، وعثمان بن ميمون الصنهاجي[٢٢]، فكل واحد من هؤلاء قد برع في جانب مهم من جوانب العلم التي تزود منها الأمير ابو سعيد خلال توليه إدارة الولايات في بلاد المغرب والأندلس،

وبالتالي فأن لهؤلاء اثر هام في حياة السيد ابو سعيد، لاسيما في فترة توليه الولايات في المغرب والأندلس، فنجد مثلاً ان ابن طفيل ذلك الرجل الموسوعي، كان مستشاراً للسيد أبي سعيد وكاتماً لأسراره[٢٣]، كذلك فعل احمد بن عبد الملك سليل أسرة بني سعيد المشهورة من حيث الدعم والمشورة[٢٤]، وكذلك فعل الآخرون لأنهم وجدوا رعاية ودعم من قبل الأمير ابو سعيد، ولم تقتصر رعايته على الشعراء الذكور بل كان راعياً للشاعرات ايضاً فهذه حفصة الركونية[٢٥]، من أشهر شاعرات الأندلس في العصر الموحدي تمدح وتهني السيد ابا سعيد بيوم العيد قائلة:

يا ذا العلا وابن خليفة والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى منه بما تهوى القضا
وافاك من تهواه في طوع الإجابة والرضا
ليعيد من لذاته ما قد تصرم وانقضى[٢٦]

وقد شغف بحبها، وولع بها حتى وصل به الأمر ان قتل كاتبة الشاعر أبي جعفر بن سعيد بن عبد الملك، لمشاركته في حب الشاعرة الركونية[٢٧]، وهذا الفعل يوضح جانباً سلبياً مظلماً من شخصية الأمير ابو سعيد، إذ يسعى للوصول لما يريد بكل الوسائل وان كانت الوسيلة هي القتل وهذه الرواية دليل على ذلك.

لكن هذ الامر لا يمنعنا من القول من ان الأمير ابو سعيد عرف عنه انه كان قائداً وادارياً تسلم الأمور في ولايات كثيرة من بلاد الأندلس، حتى قضى عمره في خدمة الدولة الموحدية في عهد أبيه عبد المؤمن وأخيه ابو يعقوب دون ملل أو ضجر، ويحكى ان نصف شخصيته بأنها شبيهة بشخصية والده عبد المؤمن بن علي التي جمعت مابين البساطة في المعاملة والحزم والجد في إدارة البلاد، مع رغبة حقيقة بتطبيق العدالة والسعي لتوسيع دولته وتثبيت أركانها.

خامساً: وفاته.

توفى ابو سعيد عثمان عن عمر ناهز الثمان والثلاثون وهو في ريعان شبابه بعد ان أصابه مرض الطاعون الذي اجتاح البلاد سنه(٥٧١هـ ـــ١١٧٥م).

وتشير الروايات بان عدد الأموات الذين كانوا يموتون جراء مرض الطاعون في كل يوم مابين المائة الى المائة وتسعون شخصاً، حتى ان الناس لم يستطيعوا حمل الموتى الى الجامع للصلاة عليهم فأمر الخليفة ان يصلى عليهم في سائر المساجد رفقاً بالموتى[٢٨].

المبحث الثاني

النشاط العسكري للامير أبي سعيد وأثره السياسي في بلاد المغرب والأندلس

ترأس الأمير ابو سعيد قيادة الحملات العسكرية لضم الأندلس الى دولة الموحدين لاسيما بعد نجاحه في اجتياز الاختبارات التي أجريت له في مدرسة أبيه عبد المؤمن الحربية والدينية والتي تحدثنا عنها سلفاً.

فبعد ان قام الموحدون بفتح اشبيلية وقرطبة، وصل خبر هذه الفتوح الى ميمون بن بدر اللمتوني[٢٩] الوالي على غرناطة، فخاطب الناس في الصلح وان يعفى عنهم، فتلقى ميمون وإخوته الأمير بحضارة واهتمام، وقال: ادخلوها بتحية وسلام، مقابل ذلك وعد الأمير الناس بالخير والاستقرار[٣٠]، ثم كتب الخليفة الى ابنه أبي سعيد بالإجازة الى الأندلس، وبإضافة ولاية غرناطة الى ما بيده من أعمال سبته، فأجاز البحر بجمع من الموحدين والجند المسترزقين، فوصل إليها، وسلكها وبادر إليه من الثوار المجاورين لها كأبي مروان بن سعيد وبنيه، وأبي جعفر بن ملحان وغيرهم، ولما استقر الأمين بغرناطة بعث بعسكره الى مدينة المرية ليتطلع أحوال النصارى، فنهض العسكر وأغاروا على باب المرية ونازلها[٣١].

وكانت مدينة المرية[٣٢] من أوائل المدن الأندلسية التي فتحها الأمير ابو سعيد سنة(٥٤٦هـ ـــ١١٥١م) بصحبة الشيخ أبو حفص الهنتاني[٣٣]، وكانت مدينة المرية هذه قد استولى عليها الإفرنج أيام الموحدين والمرابطين، لذلك قام الأمير ابو سعيد وعلى الغور بحصارها بشكل محكم[٣٤]، واتجه الى إقامة معسكر متكامل محاط بالأسوار لحماية الجند من أي هجمات مفاجئة[٣٥].

ان بناء المعسكر يعني التواجد الدائم لقوات أبي سعيد في المنطقة ورغبة منه بفتح المرية، مما دفع الأسبان المحاصرين الى الاستنجاد بالفونسو السابع والملقب(المحارب)[٣٦] وحليفه ابن مردنيش[٣٧]، الذي تولى قيادة مشتركة من أتباعه والأسبان والتي قدرت بحوالي ثمان عشر ألف مقاتل[٣٨]، فهاجمت هذه القوات معسكر السيد أبي سعيد إلا أنها فشلت في تحقيق هدفها، بسبب مناعة الحصون المحيطة بالمعسكر[٣٩]، وبعد محاولات فاشلة في اختراق صفوف الموحدين، اضطر ابن مردنيش الى الانسحاب، تاركاً القوات الاسبانية في المرية لمصيرهم المحتوم في مواجهة قوات ابو سعيد، الذي قرر متابعة حصار مدينة المرية لأهميتها الإستراتيجية والعسكرية لمدة زادت على سبعة شهور مما اضطر سكانها الى تسليم المدينة سنه(٥٥٢هـ ـــ١١٥٧م) مقابل الأمان فدخلها ابو سعيد صلحاً[٤٠].

ويبدو ان فكرة بناء معسكر حصين لحماية الجيش الموحدي المحاصر لمدينة المرية تدل على قدرة عسكرية كبيرة للسيد أبي سعيد وإمكانياته الحربية ودهائه العسكري والتي مكنته من الانتصار على الأسبان وحلفائهم فضلاً عن إمكانياته لقراءة الواقع الميداني في المنطقة مما ساهم في تعزيز

الموقف لصالح الموحدين في الأندلس الذي كاد ان يصاب بالانهيار لو تمت هزيمة الجيش الموحدي في هذه الواقعة.

وفي سنة(٥٥٦هـ ـــ١١٦٠م) عمل ابو سعيد الى العبور للمغرب لمقابلة والده، فاستغل ابن هشك[٤١] الفرصة وهاجم غرناطة وتمكن من دخول المدينة وكان ذلك بمساعدة بعض اليهود اذ قاموا بمحاصرة الحامية والعسكر الموحدي في القصبة الرئيسية فحدثت المعركة وراح ضحيتها الكثير من الموحدين والأندلسيين.

وما أن وصلت أخبار غرناطة ودخول ابن هشك لها للسيد ابو سعيد، حتى ساءه ذلك، وتأثر جداً، فلما وصل ابو سعيد مدينة مالقة استدعى الوالي ابا محمد عبد الله بن أبي حفص[٤٢]، والي اشبيلية ان يصله بعسكرها، فتم له ما أراده فتجمعوا، ونزلوا فحص غرناطة حيث السواقي الجارية، فخرج إليهم ابن هشك بعسكره، ودارت الحرب رحالها فانهزم جموع الموحدين، وفروا فقطعت بهم تلك السواقي عن فرارهم فسقطوا فيها بخيلهم، وقد قتل في تلك المعركة ابو محمد بن أبي حفص، اما السيد ابو سعيد فقد رجع الى مدينة مالقة منتظراً قدوم الإمدادات العسكرية من المغرب وفعلاً أتت بقيادة السيد أبي يعقوب من اجل التصدي لابن مردنيش[٤٣].

وما ان تم اللقاء بين الأخوين، حتى سار الجميع بحذر ويقظة، فتولى ابو سعيد قيادة فرقة من الجيش الموحدي الذي وصل الى مكان يعرف ب(وادي حدارة) حيث كان يعسكر ابن مردنيش في الجهة المقابلة للوادي[٤٤].

تحرك السيدان ابو يعقوب وأبو سعيد متجهين الى غرناطة، حيث ركب جميع العساكر خيولهم بعد صلاة العصر من يوم الخميس الخامس والعشرين من رجب سنة(٥٥٧هـ ـــ١١٦١م) وعزموا ان يسيروا ليلهم وقدموا الإدلاء أمامهم، وكانت ليلة مقمرة فلما برق ضوء الفجر قام ابو سعيد بمباغتة قوات ابن مردنيش مستخدماً أسلوب الهجوم المفاجئ المعتمد على عنصر السرعة مما سبب إرباكا واضحاً لقوات ابن مردنيش التي هربت دون وعي[٤٥]، وقد أبدى ابو سعيد كفاءة قتالية عالية في فنون القتال[٤٦]. وهذا الأسلوب في القتال قد أربك الخصم وساهم في حسم نتيجة المعركة.

بعد ذلك تحرك العسكر لحصار ابن همشك بمدينة جيان[٤٧]، ففتح المدينة واستأصل معظم من فيها من عسكر ابن همشك ولاذ البقية منهم بالفرار[٤٨]، وبذلك تمكن ابا سعيد من تعويض هزيمته السابقة أمام ابن مردنيش في مرج الرقاد، واستطاع تجاوز أخطاءه التي سببت تلك الهزيمة، وهذا الأمر عزز مكانته عند والده عبد المؤمن من جديد، كما أنها ساهمت في صقل موهبته الحربية وكفاءته العسكرية في الأندلس.

أن نجاح أبي سعيد في هذه المعركة كان قد دفع أخيه الخليفة أبي يعقوب الى استدعائه فيما بعد الى المغرب للمساهمة الى جانبه في التصدي لثورة(سبع بن منعقاد) الثائر في جبال غماره، وفعلاً أسرع في العبور واشترك في إخماد الثورة في الجبال وإحلال السلام والأمن فيها[٤٩].

ويبدو ان مشاركة السيد ابا سعيد في قيادة الجيش الموحدي في بلاد المغرب والأندلس كانت مبنية على ثقة أخيه الخليفة أبي يعقوب حيث كان يستدعيه من جبهة الأندلس رغم أهميتها لمواجهة تمرد قد شكل خطراً على الحكم الموحدي في المغرب.

وكانت معركة غماره أخر معركة اشترك بها أبو سعيد حتى وافاه الأجل بعد أن أصيب بمرض الطاعون في مراكش وتوفى على أثرها سنة(٥٧١هـ ـــ١١٧٥م).

المبحث الثالث

اثر السيد أبي سعيد الإداري في بلاد الغرب والأندلس

أشتهر أبو سعيد بكونه إداريا ناجحاً، إذ قضى معظم حياته يتولى إدارة الولايات في بلاد المغرب والأندلس، فقد تولى إدارة مدن سبته وطنجة سنة(٥٤٧هـ ـــ١١٥٢م) بمساعدة عبد الله بن سليمان وأبو سعيد بن ميمون الصنهاجي[٥٠]،وبمهارته كبار الكتاب أمثال ابن طفيل وأبو بكر الباجي[٥١]، وأبو الحكم بن هردوس[٥٢]، وفي سنة(٥٥٢هـ ـــ١١٥٧م) أضيفت مدينة غرناطة إلى سلطته، وهذه المدن الثلاثة من أهم المدن من الناحية الجغرافية والإستراتيجية التي تربط شمال المغرب وجنوب الأندلس فضلاً عن ذلك فإنها تشكل الممر الرئيسي لعبور الإمدادات العسكرية الموحدية إلى هذه البلاد، وإدراكا من الخليفة عبد المؤمن بن علي بقدرات ولده أبو سعيد لما يتمتع به من كفاءة إدارية عالية، هو الذي جعله يضع هذه المدن المهمة تحت إدارته.

وعلى الرغم من المساحة الشاسعة لهذه المناطق إلا أن الأمين أبو سعيد تمكن من إدارتها بشكل رائع بدليل بقائه في منصبه لفترات طويلة.

وقد عرف عن السيد أبو سعيد انه كان دائم السفر إلى المغرب للقاء والده عبد المؤمن وأخيه أبو يعقوب لمشاورتهم بأمور البلاد، وربما السبب المهم لهذه الزيارات المتكررة لا سيما في عهد أخيه عندما كان خليفة للاستئناس برأي أبي سعيد باعتباره خبيراً عسكرياً وإداريا بشؤون المنطقة أو لتكليفه في بعض الأحيان بقيادة الجيش وان يؤدي مهمة سياسية أو أدارية نيابة عن الخليفة[٥٣].

وتشير المصادر التاريخية بان أبي سعيد كان ملتزماً بكل التعليمات الصادرة من خلافة الحكم، وكان أمينا عليها ومطيعاً للأوامر دون تردد، فضلاً عن احترامه الشديد لأخوته (أبو يعقوب) الخليفة و(أبي حفص) الوزير الأول في الدولة الموحدية فلم يطلب الأمر لنفسه[٥٤]، فنجده مسرعاً لإعلان البيعة لأخيه أبي يعقوب سنة(٥٥٨هـ ـــ١١٦٢م) بعد وفاة والده عبد المؤمن، ولم يتردد أو يتأخر كما فعل بعض أخوته الآخرين.

وهذه الرواية تقطع الطريق عن كثير من الروايات التي تشير أو تغمز أو تشكك في امتناع أبا سعيد عن بيعة أبي يعقوب[٥٥] بالخلافة حتى سنة (٥٥٨هـ ـــ١١٦٤م) لأنه قول لا تعضده الروايات التي تؤكد أن أبو سعيد قد ساهم وشارك مع الخليفة أبي يعقوب في قمع ثورة غماره سنة(٥٥٨هـ ـــ١١٦٢م) فكيف يمتنع عن بيعة الخليفة وفي نفس الوقت يكون مشاركاً في قيادة جيشه.

وكان الأثر الاداري والسياسي للأمير أبو سعيد حاضراً، إذ أمر ببناء مدينة بحرية في سفح جبل طارق[٥٦]، وبنى فيها القصور والمنازل فضلاً عن الجوامع لإقامة الصلاة، وتعد هذه المدينة من المدن الحصينة والمنيعة والفريدة من نوعها التي أقامها الموحدين في بلاد الأندلس[٥٧]، كذلك فقد شرع في إنشاء قصر لوالده، وإحاطة بقصور[٥٨] لأخوته والحق بها دياراً اقطعها إلى أعيان الموحدين ووجها إلى البلاد.

وقد أحاط جميع هذه المباني بسور يدخل إليها من باب واحد وهو باب الفتح[٥٩]، وقد استعان أبو سعيد بأمهر وأشهر المهندسين والبنائيين، وتعد الرحى التي بناها من أقدم الرحى في التاريخ التي تعمل بواسطة الرياح[٦٠].

ويذكر ابن صاحب الصلاة[٦١] بان السيد أبا سعيد قام بحملة أعمار واسعة في مدينة قرطبة سنة(٥٥٧هـ ـــ١١٦٢م) أثناء ولايته عليها إذ يقول: ((وأقام السيد أبو سعيد بقرطبة على الحالة المأمور بها، فزادها تمصيراً ومهدها تمهيداً وتبشيراً...)).

وتذكر الروايات أيضا أنه وفي سنة(٥٦١هـ ـــ١١٦٥م) قام أبو سعيد بتوسيع العلامة الموحدية(الحمد لله وحده) وعممها في المكانات الرسمية للدولة في الأندلس[٦٢].

وهذه الاعمال الادارية والسياسية وحتى العسكرية تعطينا تصورا واضحا عن مدى الثقة التي يحظى بها السيد أبو سعيد في البلاط الموحدي، بحيث يكلف بأداء هذه المهمة المتعلقة بضبط المكاتبات الرسمية في بلاد الأندلس.

اما عن الدور السياسي للسيد أبو سعيد في بلاد الأندلس، فقد اقتصر كا تشير الروايات على عقد معاهدات الصلح مع الممالك الاسبانية، كما في المعاهدة التي صدرت سنة(٥٦٣هـ ـــ١١٦٧م) مع ابن الرنك[٦٣] (الفونسو انريكيز)(Alfonse enriquez) ويبدو هذا من ضمن الصلاحيات التي منحها الخليفة أبو يعقوب لأخيه أبو سعيد.

الخلاصة :

مما تقدم يمكننا القول:

أن الأمير السيد عثمان بن عبد المؤمن(حاكم غرناطة) كان شخصية إدارية وعسكرية مهمة، وقد نجح في أدارة أهم مدن الأندلس ونقصد غرناطة، فنجح نجاحا باهرا، فأظهرت هذه الإدارة حكمة وشجاعة الأمير في ترسيخ سياسة ناجحة أشاد بها معظم المؤرخين، وكان من عوامل ونجاح إدارته إنما يكمن في حرصه على اختيار الإداريين الأكفاء من ذوي الخبرة والمهارة سواء كانوا وزراء او ولاة او قضاة .

اهتم أبو سعيد بالشؤون الإدارية وحرص على اختيار الإداريين الأكفاء من ذوي الخبرة سواء كانوا وزراء أو كتاب أو ولاة أو قضاة.

ولأنه تربى في بيئة علمية مميزة، فقد قرب أهم علماء عصره، فضلاً عن اهتمامه الكبير بالشعراء والأدباء، وشهد عصره حرية تامة في تنقل العلماء والأدباء بين حوافر المغرب العربي والأندلس من جهة، والمشرق الإسلامي من جهة أخرى، دون اي عائق متجاوزين السياسية الخلافات القائمة.

وقد أمتاز الأمير أبو سعيد كونه قائداً عسكرياً، والدليل على هذه الميزة والدراية والحنكة نجاح الامير في الكثير من المعارك سواء في الأندلس محل إقامته أو في بلاد المغرب عندما يطلب منه ذلك من مقر الخلافة، وفعلاً قام بتحرير مدن أندلسية كثيرة منها المرية وغرناطة وبطليوس وغيرها.

اما الجانب السياسي للأمير عثمان فهناك شحة واضحة في المعلومات التاريخية، ولانعرف سبب عزوف كثير من المؤرخين في التفصيل بهذا الجانب، وهذ لا يمنعنا من التوكيد في انجازات الدولة الموحدية في عهد الأمير ابو سعيد وأخويه ابو يعقوب وابو حفص حيث بلغت اوج عظمتها في الجانب السياسي، فأخذت الدولة تمارس دورا إقليميا كبيرا، وأخذ بعض حكام الدولة النصرانية شمال الأندلس والدول الأوربية يتقاطرون على حاضرت الدولة الموحدية مراكش يلتمسون ود الموحدين .

الهوامش:

(١) لسان الدين، محمد بن عبد الله (ت٧٦٦هـ) اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرانية، المطبعة السلفية (القاهرة ١٩٢٨) ، ص١٢.

(٢) السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت١٨٩٧م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تعليق جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء)، ١٩٥٤م ، ١٠٩/٢.

(٣) أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عدنان ، مكتبة الخانجي، ط٢، (القاهرة ١٩٩٦) ، ص٢٤١.

(٤) ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك (ت٦٢٨هـ)، نظم العيان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب / جامعة محمد الخامس (الرباط د.ت) ص٢٠٦.

(٥) أبو العباس ، احمد بن محمد المراكشي (ت٧١٢هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم كتاني وآخرون، ط١، (الدار البيضاء ١٩٨٥) ، ص٩٤.

(٦) من قبائل البثر المغربية، كان موطنها الأصلي في المغرب الأوسط ، ثم هاجرت إلى المغرب الأقصى، بعد نجاح عبد المؤمن بن علي في تأسيسه الدولة الموحدية، وكانت هجرتها ذات أحداث سياسية وعسكرية، بنظر: ابن خلدون، العبر ١٥٥/٦، منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ص٣٠٩.

(٧) أبو بكر الصنهاجي، (ت في القرن السادس الهجري)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، (الرباط ، ١٩٧١م) ، ص١٣.

(٨) المقتبس، ص١٧.

(٩) محي الدين عبد الواحد (ت٦٤٧هـ) المعجب في تلخيص أخبار الغرب، تحقيق محمد سعيد العربان ومحمد العربي، ط ، مطبعة الاستقامة(القاهرة ١٩٦٣) ص١٩٧.

(١٠) أبو الحسن علي بن عبد الله القاسي (ت٧٢٦هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاسي، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،تحقيق، كارل يوحنا ، دار المنصور(الرباط ١٩٧٢) ص١٨٣.

(١١) عاصمة الدولتين المرابطة والموحدية، بناها الأمير يوسف بن تاشقين سنة ٤٥٨هـ ـــ١٠٦٥م ، وأصبحت عاصمة للموحدين طيلة عهدهم، وتعد مراكش واحدة من أهم المدن الإسلامية في بلاد المغرب العربي، دار الشؤون الثقافية (بغداد ١٩٨٦)، ص٢٠٨.

(١٢) اشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ٥١/٢.

(١٣) أبو العباس ، شمس الدين (ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت د.ت)، ١٣٠/٧.

(١٤) المعجب ،ص٢٩٣.

(١٥) سبته مدينة مغربية قديمة تقع على البحر المتوسط، مقابل الساحل الاسباني من الضفة الأخرى من البحر، ينظر ابن خرداذبة(٨٢٠هـ)، المسالك والممالك تحقيق جمال طلبه، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٣) ، ٢٨٥/٢.

(١٦) طنجة من مدن بلاد الغرب، تقع على ساحل البحر المتوسط وتقابل الجزيرة الخضراء في الطرف الآخر، تبعد عن سبته مسافة يوم واحد، ينظر: الحموي ، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق محمد المرعشي، دار أحياء التراث (بيروت د.ت)، ٤/ ٤٣.

(١٧) احمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر، ولد سنة(٥٢٠هـ ـــ١١٢٦م)، شاعراً وأديبا، ينتمي إلى أسرة بني سعيد المعروفة بالعلم والأدب والنفوذ في بلاد الأندلس، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيق، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٩، ١٣٦/٢، الطريفي، يوسف عطا، شعراء المغرب والأندلس، الأهلية للطباعة والتوزيع، عما ن٢٠٠٧، ص٢٤٧.

(١٨) احمد بن حسن بن احمد القضاعي، من مشاهير الكتاب في بلاد الأندلس، كان جده لأمه القاضي عبد الحمد بن عطية ، ينظر: المقري، احمد بن محمد التلمساني(ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر(بيروت ١٩٦٨) ، ١٣/٣.

(١٩) محمد بن مسعدة، أبو يحيى محمد بن علي العامري، شقيق الكاتب أبو بكر بن مسعدة، من الكتاب البارعين والمعروفين في بلاد الأندلس، ابن سعيد، المغرب، ٩٠/٢.

(٢٠) ابن طفيل، أبو بكر محمد بن عبد الملك القيسي، ولد سنة(٥٠٠هـ ـــ١١٠٦م)، كان عالما وطبيبا وأديبا وشاعرا، ينظر ابن الآبار، محمد بن عبد الله، ابن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ ـــ١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني (القاهرة ١٩٥٦) ،ص٨٢٥، الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص٦١.

(٢١) أبو بكر بن حبيش الباجي، كاتب أندلسي، باجي المولد، وأقامه في مدينة مرتلة، التقى بعبد المؤمن في مدينة تلمسان، وانضم إلى الموحدين بعد ذلك، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ ـــ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٩٦٨، ٢١٢/٦.

(٢٢) عثمان بن ميمون الصنهاجي، رأفت عبد المؤمن في فتوحاته لبلاد أفريقيا، كما رافق السيد أبي يعقوب في حملته على الأندلس، ويعد من الكتاب المعروفين في جمال العلم والأدب، ينظر: السلاوي، الاستقصا ، ١٣٢/١.

(٢٣) الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص١٦١.

(٢٤) الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص١٦٢.

(٢٥) حفصة بنت الحاج الركونية، ولدت سنه(٥٣٠هـ ـــ١١٣٥م) ، من أسرة ذات جاه ومال، تفوقت على نظيراتها بالأدب والشعر، مدحت عبد المؤمن ابن علي ، فأعطاها قرية الركونية قرب غرناطة، ينظر: ابن سعيد المغرب، ١٣٨/٢، المقري، نفح الطيبب، ١٧١/٤.

(٢٦) ابن سعيد، المغرب، ١٣٩/٢، المقري، نفح الطيب، ١٧٧/٤.

(٢٧) ابن سعيد، المغرب، ١٣٨/٢، المقري، نفح الطيب، ١٧٣/٤.

(٢٨) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٣٦، ابن خلدون، العبر،٢٨٤/٦، السلاوي ، الاستقصا، ٢٨٠/١.

(٢٩) هو ميمون بن بدر بن ياسين، الصنهاجي اللمتوني، سكن مدينة المرية، أصله من صحراء المغرب، يكنى أبا عمر، عني بالرواية وسماع العلم، ينظر: السملاوي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الإعلام، المطبعة الملكية، الرباط١٩٩٣، ٣٠٨/٧.

(٣٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ص٥٥.

(٣١) Rachid Bourouiba، Abdel mumenk ،Flambeau des ، Almohades،.Suep.Alger. 1974.p.42.

(٣٢) المرية، من مدن إقليم البيرة في الأندلس، فيها مرفأ للسفن والمراكب، وكانت قاعدة للأسطول الأندلسي، وكان الناس ينتهجونها ويرابطون فيها، ينظر: الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم٠(ت٧٢٧هـ ـــ١٣٩٧م) ، صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة،١٩٣٧م)، ص١٨٣.

(٣٣) أبو حفص عمر بن يحيى، من ابرز خاصة المهدي بن تومرت، وله الفضل في تثبيت أركان الدولة الموحدية، وتمتع بمكانة خاصة لدى خلفاء وأمراء هذه الدولة ، ينظر: الزركشي، ابو عبد الله حمد بن إبراهيم(٨٩٤هـ ـــ١٤٨٨م) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق : محمد بن ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة، تونس١٩٦٦، ص٢٢.

(٣٤) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، الموصل، ١٩٨٦، ص٢٦٦.

(٣٥) ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي(ت٧٢٦هـ ـــ١٣٢٦م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاسي في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، تحقيق: كارل يوحنا، الرباط١٩٧٢، ص١٣٦.

(٣٦) ملك قشتاله الاسباني، قاد حروب لا هواده فيها ضد المسلمين، ص١٠، سمي بالمحارب، ينظر: اشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ١٦٠/١.

(٣٧) ابن مردنيش، محمد بن سعد، من أشهر ثوار الأندلس ضد الحكم الموحدي،استمر في ثورته لأكثر من خمس وعشرون عاما، واستعان بالأسبان ضد المسلمين، وبعد وفاته اضطر أبنائه إلى الاعتراف بالوجود الموحدي،ينظر: ابن الخطيب، محمد بن عبد الله التلمساني، اعمال الإعلام في من يولع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط١، دار المكشوف ، (بيروت)١٩٥٦، ص٢٥٩.

(٣٨) ابن الأثير، الكامل، ١٢٣/٩، سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ص٧٠٥.

(٣٩) ابن الأثير، الكامل، ١٧٢/٩.

(٤٠) السلاوي، الاستقصا، ١٠٩/٢.

(٤١) إبراهيم بن محمد بن مفرج، نصراني الأصل، اسلم على يد بني هوود ملوك سرقسطة، قاد الحروب ضد الموحدين في الأندلس إلى جانب ابن مردنيش، وكان متسلطاً، قوياً ، انضم الى الموحدين في أواخر أيامه بعد الخلاف مع ابن مردنيش ، ينظر: ابن الخطيب، اعمال الإعلام، ٢٩٧/١.

(٤٢) أبو محمد بن عبد الله بن أبي حفص بن علي، أرسله الخليفة عبد المؤمن سنة خمسمائة وخمسون للهجرة والياً على اشبيلية، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ص٨٠.

(٤٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٥٤/١.

(٤٤) ابن خلدون، العبر، ٢٨١/٦.

(٤٥) السلاوي، الاستقصا، ٢٧٧/١.

(٤٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ص٧٧.

(٤٧) مدينة أندلسية، بينها وبين بياسة ستون ميلاً، وهي كثيرة البساتين والمزارع وفيها مساجد وعلماء جلة، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٧٠.

(٤٨) ابن عذاري، البيان المغرب ، ص٧٨.

(٤٩) ابن عذاري، البيان المغرب ، ص٩٥.

(٥٠) مؤلف مجهول، الملل الموشية ، ص١٥١.

(٥١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٩٤.

(٥٢) مؤلف مجهول، الملل الموشية، ص١٥١.

(٥٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٢٤.

(٥٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٧٠.

(٥٥) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص١٧١.

(٥٦) مؤلف مجهول ، الملل الموشية، ص١١٩.

(٥٧) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٤.

(٥٨) ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص٨٦، بروفنسال، مجموع رسائل موحدية ص٦١، ٦٢٠.

(٥٩) السلاوي، الاستقصا، ١٢٨/٢.

(٦٠) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص١٣٤.

(٦١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص١٤١.

(٦٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ،

(٦٣) ابن الرنك، هو الفونسو هيريكيز، وتسميه بعض المصادر صاحب قلمرية، ابن ملك البرتغال، لان قلمرية كانت عاصمة البرتغال آنذاك، ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٥١.